فضل العرب على الجراحة[1]

قالت دائرة المعارف البريطانية المطبوعة حديثاً جزء ٢٦ ص ١٢٧ « قلما كان للعرب مزية في علم الطب اعظم من انهم حفظوا ما استلموهُ فيهِ من الاقدمين . وما اضافوهُ الى الجراحة بنوع خاص قليل وذلك اولاً لان دينهم يستكره تشريح الموتى وثانياً لان من طبعهم تجمل الآلام التي تصيبهم بالصبر والانفة من اتخاذ انوسائل لتخفيفها واطباؤهم المشهورون مثل ابن سينا وابن رشد ليس لهم شأن كبير في الجراحة واشهر من الف منهم في الجراحة ابو القاسم المتوفى سنة ١٢٢ للميلاد وهو مشهور بنوع خاص بكثرة استعمالهِ الكي والكاويات . وقد اعرب عن استقلال كثير بامتناعهِ عن الالتجاء الى الجراحة في معالجة الغرائر وفي قلة التجائهِ الى شق القصبة ولاسيما في تجنبهِ العمليات الجراحية في السرطان وفي تقريعهِ صديد الخراريج الكبيرة تدريجاً »

ثم قالت — وانشئت اسبتالية اوتل ديو بليون سنة ٦٦٠ م وفي باريس بعد قرن ، ومدرسة مونبليه انشئت ١٠٢٥ وكان التعليم على نسق عربي و يهودي . ومجلس تورز ١١٦٣ قرر عدم اشتغال الكهنة بالطب . ونقول ان كل المؤلفات التي عي الآ اعادة طبع وترجمة الكتب العربية

ولقد اخذنا نبحث عن اسم ابي القاسم بين المؤلفين ونسأل عن كتبهِ فلم نجد حافيا لتداولهُ الايدي ثم بحثنا في دار الكتب السلطانية والمكتبات الخصوصية فلم نعثر على شيء منها

وفيما كنا نقلب في آثار جدنا المرحوم الدكتور عبد الرحمن الهراوي بك وقع في يدنا كتاب بعيد العهد بعيد الطبع موسوم بعنوان (التصريف) لمؤلفهِ ابي القاسم خلف بن عباس الزهراوي وهو الجزء الحادي عشر من ثلاثين جزءاً من الكتاب كلهِ وهذا الجزء وحدهُ هو ما سنجعلهُ موضوع بحث اليوم

ولقد بحثنا كذلك كثيراً عن تاريخ هذا الكتاب وتاريخ مؤلفهِ بالتفصيل فلم نعثر على شيء منهما تقريباً في الكتب العربية وعثرنا على نتف قليلة في الكتب الانكليزية والفرنساوية خلا كتاب مسيو لكلارك (تاريخ الطب عند العرب) فانهُ والحق يقال وفى البحث حقهُ مستنداً فيما يقول على مرآى العين او اوثق المصادر

(١) بحث في تاريخ الجراحة عند العرب وعمل الزهراوي القيت في الجامعة المصرية في ٣ مارس سنة ١٩١٧

ولم يحفظ عن الجراحين وجدة ان ابا القاسم يعد في طليعتهم بل هو الوحيد في فنه وكتابه هو الفريد في بابه ويرى انهُ حفظ علم الجراحة في القرون الوسطى وانهُ كان اساساً متيناً بنيت عليه صروح الجراحة الحديثة التي كانت اخذت في التقدم وهي لا شك آخذة رجع معظم الفضل فيه اليه . ويجمل بنا قبل الدخول في الموضوع ان نسوق هنا نبذة عن الزهراوي وكتابه

ولد ابو القاسم في الزهراء باسبانيا سنة ٩٣٦ م او ٣٢٥ هـ . ولقد كان هو المثل الاعلى في الجراحة عند العرب في القرون الوسطى وكان هو والوزير عيسى بن اسحاق الطبيبين النابغين في الدهر والمعارف وكان بيتهما دار ندوة يحضرها ذوو المكانة من الاخصائيين في الرياضيات والطبيعيات والفلك وغيرها وكان كلاهما الطبيب الخاص للامير عبدالرحمن وكان بيتهم مفتح الابواب للسائلين وطلاب العلم وطالبي الشفاء بالليل والنهار . وكان ابو القاسم وحدهُ مشهوراً بطبهِ ونبوغهِ في الجراحة في الشرق والغرب . غير ان هذه الشهرة كانت من دواعي الحطة عند العرب لانهم كانوا يمقتون الجراحة والمشتغلين بها كما حدثنا هو بذلك في نفس الجزء الواقع بين ايدينا . قال « ان الطبيب الذي لا يوجد من اجله صانع ماهر في العمل اليدوي انهُ ينبغي لصاحبهِ ان يرتاض قبل ذلك في علم التشريح الذي وضعهُ جالينوس الخ . ولذلك قال ابقراط ان الاطباء بالاسم كثير والحقيقيون قليل جداً »

اما مؤلف ابي القاسم فيقع كما قدمنا في ٣٠ جزءاً ترجمت جميعها الى اللاتينية غير انهُ لا يعرف بالضبط تاريخ السنة ولا اسم المترجم الذي نقلهُ ولكن المسيو جيرارد دي جرتون ترجم في القرن الثاني عشر الجزء الاخير المتعلق بالجراحة ولا يدلنا هذا على انهُ ترجم الكتاب باجزائهِ جميعاً . قال لكلارك وفي مكتبة باريس (٤٣٩٠) رأينا الجزء الثالث وترجمة الجزء الاول والثاني تحت عنوان باللاتيني هو ليبي تيوريكا تك ن بركتيكا) اي النظريات المجردة لا العمليات للزهراوي والجزء ٢٨ تحت عنوان (ليبرسرفيتورس) وقد طبعت هذه الاجزاء . وترجم الجزء الخاص بالعقاقير والاقرباذين ، تيربوتيك ! . ولقد رأينا دائماً مؤلفي القرون الوسطى يحيلون القارئ على الزهراوية او كتاب الملوكات الاكبر (انتيدوتيو) وهما لا خلاف فيهِ ان كتاب التصريف ظهر باكمله تحت اسم الزهراوية وقسم الى ٣٠ جزءاً وموجود برمتهِ ١٦ ـ ٧ من القسم اللاتيني . فالجزء ١٦ من التصريف هو الخاص بالاضمدة المختلفة في الامراض المختلفة . وفي كتاب المفردات لابن البيطار متفرقات جمة

مذكور بجانبها انها مستخرجة من كتاب الزهراوية . وابلغ هذه الاقتباسات كيفية صنع الخبز المركب من احسن انواع القمح والذي يخمر و يكرن خفيفاً خالياً من الشوائب

وفي القرن الرابع عشر اخذ دي كولريس الذي يعد عظيماً في الجراحة عن كتاب الزهراوي ما يعد اساساً لما كتبهُ هو على انهُ استشهد في كثير من المواضع بكتاب المركبات وقد ذكر بالاسم الجزءين ٢١ و٢٣ وذلك يدل على ان مجموعة الكتاب كانت تامة في عهدهِ . وفي القرن ١٥ رأينا مقتبسات من الزهراوي عند طبيب طليطلي (فرّاري) او (مشيودي جراديليس) وكان في اكثر مواضعهِ يستشهد بكتاب الزهراوي الخاص بالاطعمة او الاغذية . وفي القرن عينه نشر الطبيب الطليطلي (سنشس دي اردوزيريس ده بيزارو) كتاباً خاصاً بالسموم . وفي كل صفحة منهُ اسم ابي القاسم و يدلنا ذلك على ان المؤلف كان يملك ترجمة التصريف باكملهِ وفي هذا المؤلف معلومات مأخوذة عن الزهراوي لا اقل عن نصفهِ . بل الذي يؤكد ان (سنشس) هذا كان يملك التصريف كاملاً ان كثيراً من اقوالهِ مأخوذة من الاجزاء ٢ و٣ و٤ و٥ و٧ و٩ و١٣ و١٥ و١٧ و١٨ و٢٣ و٢٤ و٢٥ و٢٨ و٣٠ . اما الجزء الثاني في العمليات (براتيك) و٣ و١٥ فللادوية المركبة وهذا هو السبب الذي اطلق على الكتاب اسم (جراند انتيدوتير) لان معظمهِ في مركبات الادوية

وفي سنة ١٦٠٩ طبعت مكتبة شتك (لايبلاشتك) هذا الكتاب ونعلم انهُ ظهرت ترجمتان لكتاب التصريف في القرن السابع عشر ولكن لا نعلم ان كانتا تامتين او لا

على ان المؤلفين العرب وان ذكروا لنا كتاب التصريف لم يعطوا معلومات وافية عن اجزائهِ ولم يذكروا الا الجزء الخاص بالجراحة ولكن يستدل من عدة تراجم لاتينية ان الجزء العاشر او الحادي عشر هو الخاص بالجراحة وقدم لنا المسيو برر نسخة خطية صغيرة وفيها ان الجراحة في الجزء العاشر . اما نحن فنقول ان الجزء الذي لدينا هو الحادي عشر وهو الخاص بالجراحة ولا ندري ان كان هناك جزء آخر خاص بها ام لا وهذا هو امام من يريد الاطلاع عليهِ . قال لكلارك : وقد بحثنا كثيراً في مكتبة باريس في القسم العربي فلم نجد فيها اكثر من نصف الكتاب . اما ابن البيطار فقد اقتبس من الزهراوي اكثر من غيرهِ على انهُ لم يعينهُ . و بيّن الاجزاء الموجودة كما يأتي فنر : ٩٥ و١٦٥ و١٦٧ و١٦٨ . تحتوي على الجزئين المختصين النظريات والعمليات . و١٦٣ . تحتوي على الاجزاء من ٨ .

الى ٣٠ ، ونمرة ١٦٤ ، تحتوي على الاجزاء من ١ الى ١٦ ، ونمرة ١٦٣ في كشف باسماء الاجزاء ومحتويات كل واحد . وعليه فمكتبة باريس فيها الاجزاء التالية بالعبري : و ٢ ومن ١٨ الى ٣ والمكتبة البلينية في اسعدها حظاً لانها تحتوي على الكتاب كاملاً تحت نمرة ٤ ، ٤ و ٤ ، وهاك بيان محتويات الاجزاء

الجزء ٢٦ يحتوي على نظام الطعام في حالتي الصحة والمرض وعنهُ اخذ ابن البيطار ومشيو ده جراد پبوس . والجزء ٢٧ يحتوي على الادوية البسيطة والاغذية مرتبة على حروف المعجم وترجم (شن سوب) هذا الجزء بالعبرية في مرسيليا في القرن ١٣ ، والجزء ٢٩ يحتوي على تحويل الموازين وعلاقتها بالمقاييس . وجميع الاجزاء المتقدمة هي خطية اما المطبوع فاليك بيانهُ :

جزء النظريات والعمليات وهو الاول والثاني اما الاول فيحتوي على النظريات او عموميات في الطب وفيهِ ١٦ فصلاً والجزء الثاني يحتوي على العمليات في الامراض من الرأس الى القدم الاَّ الفصول الاخيرة فتحتوي على فصل (٢٦) تدبير الاطفال وفصل (٢٧) تدبير المسنين وفصل (٢٨) في الروماتيزم وفصل (٢٩) في الدمامل والحراريج وفصل (٣٠) في السموم وفصل (٣١) في الامراض الظاهرة (الجلدية) وفصل (٣٢) في الحميات

وجزء ٢٨ تحضير الادوية البسيطة ترجمهُ الى اللاتينية ابراهام اليهودي وميخائيل دهجين . وقد رد احد المترجمين او اليهود النسخة العبرية الى اللغة العامية واحد الادباء حولهُ الى اللاتينية . واسم هذا الجزء باللاتينية (سرفيتور پس) وهذا العنوان ليس لهذا الجزء في الحقيقة بل هو الاجزاء السابقة الخاصة بالادوية المركبة وهو ما سماهُ اهل القرون الوسطى (جراند انتيدوتير) . وكتاب سرفيتور پس طبع مراراً وهذا هو عنوان الطبعة المحفوظة بباريس بنمرة ١٤٧١

وقد قسم المؤلف الادوية البسيطة الى ثلاثة انواع معدنية ونباتية وحيوانية . وفي هذا الكتاب معلومات رائعة عن تاريخ المادة الطبية وتاريخ الكيمياء والفنون الصناعية . ولابن العوام كتاب في الزراعة قال فيهِ انهُ ليس احسن من طريقة الزهراوي في استخراج ماء الورد ونقل عنهُ ابن البيطار في كتابهِ المفردات كيفية استخراج الزيت

ووصف الزهراوي بدقة كيف يصنع قالب من الآجر او الجص او العاج ينقش فيهِ اسم الاقراص ونسخة باريس الخطية ٢٣٦ ، ٢ اظهرت لنا شكل هذه القوالب غير اننا لم نجدها في النسخ المطبوعة . كذلك وجدنا في النسخة المذكورة رسم المرشحات ولم نجدها

في المطبوع . واذن يكون الزهراوي اول من احدث رسم الاشكال في مؤلفه الجراحي وقد اخذ يزهر من بعده الى اليوم ونضيف الى ما تقدم ان ابا القاسم لم يقتصر على تحضير الادوية بل انهُ اشتغل فوق ذلك في كيفية حفظها وعين معدن الاوعية التي توافق كل واحد منها وصفوة القول ان كتاب سرفيتوريس هو اهم عمل في مجموعة ابي القاسم ويستحق ان يكون هو المرجع على الدوام . قال نكلارك ونظن ان هناك نسخة عربية في متحف انجلترا فقد وجدنا بهِ تحت نمرة ٩٨ عنوان كتاب منسوب الى الزهراوي وهو خاص بتحضير العقاقير وابتدأ فيهِ على طريقة سرفيتوريس حيث قال : اعلم ان الادوية ثلاثة انواع معدنية او نباتية او حيوانية . ولقد قرأنا هذا النص بعينهِ في نسخة عربية عبرية في باريس تحت نمرة ١٢١٣ ورأيناها مكتوبة بالعربية وبالحروف العبرية غير ان فيها ذكر الادوية البسيطة وما هي هنا الا للوصول بها الى المركبة فالعقاقير واسم المؤلف غير مذكور ولكن الكتاب مستمد من التصريف

اما جزء ٣٠ الخاص بالجراحة فلا جرم انهُ الذي نبه بهِ ذكر ابي القاسم وهو الذي لهُ المنزلة العظمى في تاريخ الطب . قلنا انهُ هو الجزء الخاص بالجراحة وهو الاخير من التصريف غير ان في ذلك خلافاً فهناك نسختان عربيتان في مكتبة بدلين احداهما تقول انهُ العاشر والاخرى انهُ الحادي عشر والنسخة الخطية للسيو برون وهي كراسة مختصرة تقول انهُ العاشر وكتاب نور العيون الموجود بنمرة ١٠٤٣ بالخلق العربي بمكتبة باريس تارة تقول انهُ الثلاثون وتارة انهُ العاشر . والنسخة العربية بباريس تعينهُ انهُ الثلاثون والترجمة اللاتينية الخطية والمطبوعة تقول كذلك . وفي وسط القرن الثاني عشر ترجم جرارد ده كريمون بطليطلة جراحة ابي القاسم الى اللاتينية وبعد قرن ترجمهُ الى العبرية شم توب وترجم كذلك في عدة جهات وتوجد منهُ نسخة في مكتبة مونبلييه . والفضل لهذه التراجم في انتشار الجراحة في القرون الوسطى . وبعض كتّاب ذلك العهد اعترفوا بما اخذوهُ عن هذا الجراح العربي العظيم والبعض اقتبسوا منهُ وادمجوهُ مشتركاً في اعمالهم

ونقل هنا نبذة مفيدة عن كتاب تاريخ الآداب بفرنسا قال : ان في تاريخ الجراحة بفرنسا في النصف الثاني للقرن الثالث عشر امراً يسترعي الانظار وذلك ان كثيراً من الاطباء الطليان غادروا وطنهم على اثر الفتن التي اثارها الجلفيون والجبليون وجاؤوا الى فرنسا يحتمون بارضها وجلبوا معهم مؤلفات ابي القاسم وتعاليمهُ . وابو القاسم هذا هو الطبيب الاسباني المشهور الذي يعد الزعيم الاكبر للعلوم الطبية

ابتدأ ذلك عند وصول حكيم صليبي الحلبي من روجرده يوم ١٠ من مدرسة سلرن ١٠ عقبة كثيرون منهم لاقتراحك الذي رضي باريس سنة ١٠٣٠ وقد قال : انه كان جراحو فرنسا كلهم على وجه التقريب جهلاء لا تكاد تجد بينهم طبيباً الى حد ذلك لا تجد جراحاً يطبق اصول الصناعة ثم قال ولا بمشورة المدهش ان رجدنا مدارس الفرنساوية تضع ابا القاسم في صف واحد مع جالينوس وبقراط

وبنقسم الجزء الذي نحن بصدده الى اقسام ثلاثة ... الكي (٢) العمليات واسقطها (٣) الكسر والخلع . والذي جعل لهذا الكتاب اهمية عظيمة وارتفاع صيته هو بلا شك انهُ احدث رسوم الآلات التي لم تكن مستعملة الى وقتهِ بجانب الكلام عليها وهي لا تقل عن ٥٠ اشكالاً الى ٦٠٠ شكل . فان تكلارك الذي نقل عنهُ هذا القول يقول هنا ان اساس جراحة أبي القاسم هو الجزء السادس من كتاب برن دوجين ويأخذك العجب من ان هذا الاسم لم يكن مذكوراً في الزهراوية ولا هذا الاصل معيناً فيهِ ولكن يبطل عجبك اذا علمت ان تلك كانت عادة العرب في طريقة تأليفهم فانهم كانوا يدمجون ما يأخذونهُ عن الغير من دون تعيين في عملهم الخاص الاَّ اذا كان المأخود عنهُ رجلاً ذا شهرة عظيمة مثل بقراط او جالينوس وهم في عملهم الادبي مثلهم في العلمي وقد جرى على هذه الطريقة كل من روجر ده برم وجليوم ده سالیست عند ما اخذوا عن ابي القاسم الزهراوي

وقد كان الزهراوي يذكر بجوار كل موضوع ما دلت عليهِ تجاربهُ العلمية العملية ودليلنا على ذلك الفصل المعقود خاصة لاستخراج السهم . وهو يوصي في رأس كتابهِ بضرورة معرفة التشريح لانهُ بمثابة قاعدة للجراحة . وان لا يندفع الطبيب في العمليات الجراحية الصعبة دفعة واحدة وقال انهُ جهل التشريح جرَّ الى نتائج وخيمة ومهما يقل في هذا الكتاب فان القول فيهِ ناقص فلقد قرر رأي جميع المؤرخين على الاعتراف باهميتهِ وعلى انهُ كان عمدة نجاح هذا الفن

وهاك ما قاله المؤرخون عنهُ : فقد ذكرهُ جوي ده شولياك اكثر من مائتي مرة . وقال فبريس دكاپيدانتي انهُ هو المثل الاعلى للعلم . وهو اول من ربط الشرايين قبل انجرواز بريه . وبوستار انهُ اول من استعمل المنشار في استخراج البرليوس . وفرند انهُ هو محيي الجراحة ثم ذكر له ترجمة مطولة لا تخرج عن قدستا وكنهُ زاد ان ابا القاسم نبه قرائهُ في كل موضع الى اخطار العمليات منبهاً الاحتياطات الواجب اتخاذها وقد ذكر

وصف ذلك في كل عملية وفي كل حالة . وسبرنجن قال انهُ هو اول من وصف اجراء عملية الحصاة عند النساء وكانت تعملها رئيسة الممرضات تحت اشراف احد الاطباء

اما وقد انتهينا من تلك الكلمة المجملة فسنعرض على الانظار شيئاً من الجزء الواقع بين ايدينا ونبين فضل ابي القاسم على الجراحة ذلك الفضل التي يشاطرهُ فيهِ الناطقون بالضاد قديماً وحديثاً فنقول :

ان الجزء الذي بين ايدينا هو الحادي عشر من كتاب (التصريف لمن عجز عن التأليف) لصاحبهِ (ابو القاسم خلف بن عباس الزهراوي) وهذا الجزء مطبوع سنة ١٧٦٧ م بواسطة كازيري بخائيل قصيري

والذي يقرأ هذا الجزء في العمليات الجراحية يرى كيف تدرج العلم الصحيح من مهدهِ منذ زمن المؤلف الى الوقت الحاضر وكيف كان التدرج في البحث والاستقصاء . فقد كان في زمنهم قاصراً على الحواس الخمس من حس ولمس ولم تكن المباحث العلمية معززة بتجارب الاكتشاف والاختراع نعم ان المؤلفين في عصرهم كانوا يعلمون ان الاوعية تنقسم الى قسمين الشريان والوريد ولكن التمييز بينهما كان من الصعوبة بمكان . فان جل ما كان يميز الشريان عندهم انهُ العرق النابض والوريد انهُ العرق الساكن

والعمليات هنا تنقسم الى ثلاثة اقسام وهي الكي واستعمال المشرط من شق وفصد واستعمال التجبير وما يختص بالعظام . وقبل ان نتكلم عن هذه الاقسام نذكر كلمة عامة عن الآلات الجراحية على وجه العموم . فقد كانت تصنع هذه الآلات اما من الحديد او الذهب او النحاس ويختلف استعمال كل نوع باختلاف ظروفهِ ففي آلات الكي مثلاً كان ابو القاسم يفضل استعمال الحديد على الذهب بعلة ان الكي بالحديد أحسن وافضل من الذهب لانك اذا احميت مكواة الذهب في النار لم تعلم درجة حماوتها بسبب لونها ثم انها تبرد سريعاً واذا اشتدت الحرارة سهرت وذابت فلذلك صار الكي بالحديد عندنا اسرع واقرب للصواب

نريد الآن ان نطبق احدث الطرق العلمية على كلام ابي القاسم الذي كان يعتمد على حواسهِ الخمس في البحث واستقصاء افضلية الحديد على الذهب فنجد انهُ على حق في قولهِ ان لون الذهب يمنع معرفة درجة الحرارة التي تريدها هل هي الحمراء او البيضاء مما لا يتيسر معرفتهُ في الذهب في غير الظلام والمعروف في الطب ايضاً ان الكي يكون على درجة

الحرارة الحمراء فانها تكوي المكان كيّاً موضعياً فتزين الاثر الذي تريد ازالته وأما البيضاء فان المعادن تكون فيها كالمشرط تقطع ولا تكوي

أما النقطة الثانية وهي انها تبرد سريعاً فمن المعلوم ان درجة حرارة الذهب النوعية هي ٠٫٣٢٤ والحديد ٠٫١١٣٨ ولذلك نجد ان هؤلاء الناس الذين كانوا يعتمدون على حاسة النظر فقط لم يخطىء نظرهم في ٠٫٨١٤ من درجة الحرارة

أما النقطة الثالثة وهي الصهر فقد كفلت الطبيعة ايضاً صدقها اذ ان درجة صهر الحديد ٠٫١٠٠ والذهب ٠٫٦٤ والانسجم من قوة النظر الحادة التي مكنت صاحبها من الشعور بفرق ٣٦ درجة حرارة بعد الالف

أشكال الآلات — قلنا ان العمليات تنقسم الى ثلاثة أقسام الكي والبط (البتر) والشق غير عمليات أخرى متنوعة ومن هذا التقسيم يظهر ان أشكال الآلات تختلف اختلافاً بيناً جداً

فآلات الكي تختلف — (١) باختلاف المكان المراد كيهُ (٢) باختلاف العنصر المراد الكي به (٣) باختلاف اتساع الكي

فاذا كانت الامكنة ظاهرة اختلفت اشكال الآلات باختلاف شكل الجزء من الجسم المراد كيهُ

وهذه هي أشكال الآلات :

(١) المكواة الزيتونية لكي الرأس والمواضع المسطحة (٢) المكواة القرنية في كي الرأس اذا أريد التأثير في العظام (٣) المكواة المثمارية في كي الرأس لوجع الصداع (٤) النقطة في المواضع الضيقة (٥) المثمارية في كي الحاجبين والانف لتثانه (٦) الهلالية في كي جفن العين عند استرخائهِ (٧) القمع في كي النواصير (٨) السكينية للشفة (٩) مكواة الاسنان للاسنان (١٠) ذات ثلاث الشعب للرئتين (١١) ذات السفائد لقطع العضد (١٢) مكواة المعدة (١٣) الميل لتدخل الى الكبد (١٤) المثمارية الظهر (١٥) مكواة للفتق (١٦) لآلات لكي سائر الاعضاء

المشارط — (١) المبضع لشق الخراريج (٢) مبضع السلخ لتشريح الجلد عما تحتهُ (٣) مبضع آخر للسلخ غير حاد

الجفت — (١) الجفت اللطيف للاشياء التي في الاذن . (٢) جفت آخر . (٣) تحقن فضة لحقن الاذن . (٤) مبضع لفتح الاذن . (٥) الصنانير (٦) لعملية شعرة الفلاحين . (٧) المبضع الاملس للعيون . (٨) الاملس ضعف الحاد للعيون . (٩) آلة الجرد (الكحت) . (١٠) البريد . (١١) المقدح ويستعمل لماء العين (١٢) الكلاليب . (١٣) الغرزتين من فضة (١٤) قاطع الغرزة (اسنانها حادة كالسكين) . (١٥) جفت الحلق . (١٦) مسار (انواع) . (١٧) صنانير (انواع) . (١٨) مشارط لسلخ الاورام

الكي — اما الكي فقد كانوا يستعملونهُ في اكثر الامراض في الاورام على كافة انواعها وفي كل عضو من اعضاء الانسان ولكي ادوات كثيرة منها النار ويعتبرها افضل لانها جوهر مفرد ولا يتعدّى فعلهُ العضو المكوي ولا يضر عضواً آخر متصلاً بهِ على عكس الدواء المحرق فانهُ يتعدى فعلهُ الى ما بعد الاعضاء وربما احدث في العضو مرضاً تتعسر مداواتهُ وربما قتل . وهذا يطابق تماماً التفسير الحديث الذي يقول ان هذه الادوية المحرقة قد تتسمم الدم الى جميع اجزاء الجسم وقد تكون بداية تعفن . وقد كانوا يعتقدون اعتقاداً جازماً ان الكي هو آخر ما يلجأ اليهِ المطببون اذا اعيتهم الحيل في العلاج وعلى هذا قالوا ان الكي آخر الطب وشاعت هذه الجملة على الالسنة ورددها المؤلف في عدة مواضع ومنها المثل العربي المشهور وهو آخر الدواء الكي . وفي الحديث الشريف عن البخاري انهُ قال : الشفاء في ثلاث شربة عسل وشرطة محجم وكية نار وانهى امتي عن الكي . ولا اريد الآن ان افصّل مواضع الكي وطرق عمله ولكن سنذكر اهم هذه الاشياء

ان المعروف في احدث الكتب الطبية ان الحرق لهُ ست درجات ولكن عندهم كانت لهُ ثلاث درجات

اولا : ان تحرق الجلد فقط

ثانياً : ان تحرق الجلد وشيئاً من اللحم (الشحم والانسجة التي تحتهُ

ثالثاً : ان تحرق كل شيء حتى العظم

واما الكي بالدواء المحرق فهو ان تأخذ قص ثوم وتدقهُ وتضعهُ في جرح تشقهُ تحت الجلد وتتركهُ خمس عشرة ساعة او بضماد الحردل . ويستعمل الكي في وجع الاذن وفي اللثوة او شلل عصب الوجه وفي السكتة المزمنة والفلج والصرع والملاخوليا والماء النازل

في العين والدمع المزمن واسترخاء جفن العين وفي الشعرة . وهذه الطريقة هي ان تكوى كية كورقة الآس وفي كي التاصور الذي في مآقي العين وهذه طريقة حديثة وفي امراض الرئة والسعال وضيق التنفس وفي امراض المعدة والامعاء

وقد كانوا يستعملون فيها كل ضروب الصبر والجلد مما لا يتصور ان يتحمله انسان فان خراج الكبد كانت طريقة العلاج المستعملة فيه ان تحرق بمكواة جميع الطبقات المكونة لجدار البطن حتى تصل الى الكبد ثم تحرق نفس الكبد حتى يخرج الصديد وقد يضطر الجراح لتغيير عدة مكاو اذا بردت وبالطبع مثل هذه العملية تكون خالية من اي تمفن وتستعمل نفس هذه الطريقة في استخراج ماء الاستسقاء . ومن العجيب ان لا يلهموا كي البواسير نفسها حتى تقطع بل يكوون في الظهر وفوق المعدة وكي عرق النساء سواء بالنار او بطريقة جالينوس بالشيطرج الاخضر وكذلك كان ديسقوريدوس يكوي بحر الماعز ويستعمل الكي ايضاً في الحدبة . واكبر انواع الكي شناعة هو كي الفتوق اذ يستلقي المريض على ظهره ويجلس عن صدره وبطنه واطرافه مساعدو الجراح ثم هو يمسك المكواة المحماة على شكل نصف دائرة ويرفع الترب الى البطن ويمسك الامعاء ان تنزل ويحرق مكان الفتق حتى العظم وربما يضطر الجراح الى تغيير عدة مكاو لانها تبرد ويجب ان يبلغ العظم والا كانت العملية غير ناجحة . ومكواة الصبيان اصغر والعلاج بعد العملية ان تدهن بالسمن وعقاقير اخرى حتى يبرأ الجرح ويبقى المريض مستلقياً على ظهره من ٤٠ الى ٨٠ يوماً ويستعمل الكي ايضاً في السرطان اذا كان مبتدئاً ويراد ايقافهُ ويخشى المؤلف كثيراً من تقرحه واحسن مواضع الكي كانوا يستعملونهُ في الاكلة اي الغنغرينة وهو فساد يسعى في عضو ويخشى على الباقي بل على الحياة منهُ وفي الزوائد التي تحصل في القدم . واجمل استعمال الكي هو في ايقاف النزيف الحادث من قطع شريان وطريقتهُ ان تضع اصبعك السبابة على الشريان المقطوع وتحصر الدم تحت اصبعك ثم تكوى المكان بعد رفع اصبعك عنهُ ويمكن تغيير المكواة اذا بردت من سيل النزيف

طرق ايقاف النزيف قديماً

(١) بالكي . (٢) بقطع نفس الشريان فتتقلص اطرافهُ . (٣) بان تربطهُ بالخيوط ربطاً وثيقاً . (٤) بوضع الروائد . (٥) بالضغط بالاصبع . (٦) بالماء البارد وكل هذه مستعملة الى الآن الا الثاني منها

اما الطرق المستعملة الآن فهي (كما ذكر في كتاب بيز)

(١) الضغط بالاصبع . (٢) ربط العضو من جهة القلب . (٣) ربط الشريان المقطوع . (٤) جفت الشريان وهو أهم شيء في الجراحة . (٥) لي الشريان . (٦) والشد بالرفايد فيما انفرد به ابو القاسم من العمليات الجراحية :

جراحة الشرايين — كانوا يستعملون هذه العملية في قطع الشريان الذي في الاصداغ لمداواة الصداع وسننقل وصف ابي القاسم لها لانهُ اول من ربط الشريان كما تقدم : — السلخ الجلد برفق حتى تصل الى الشريان ثم تلقي فيهِ صنارة وتجذبهُ الى فوق حتى تخلصهُ من الصفاقات التي تحتهُ من كل جانب فان كان الشريان رقيقاً فتلويهِ بطرف الصنارة ثم تقطع منهُ جزءاً بقدر ما يتباعد طرفاهُ ولا يحدث نزيفاً فانهُ اذا بتر وانقطع لم ينزف الدم . . . . ثم استفرغ من الدم من ٣ الى ٦ اواق وان كان الشريان عظيماً فينبغي ان تربطهُ في مكانين بخيط مثنى قوي وليكن الخيط من ابريسم او من اوتار العود لئلا يسرع اليها العفن قبل التئام الجرح فيحدث النزف ثم اقطع ما بين الرباطين وان شئت فاكوه ثم احش الموضع بالقطن البالي وضع الرفايد المحكمة

واول من استعمل هذه الطريقة هو ابو القاسم وهي لا تزال مستعملة الى الساعة قال رود وكارلس في كتابهما بعد وصف مطول في كيفية تنظيف الشريان : ضع ابرة انيورزم أي صنارة ذات طرف مثقوب وحركها الى اعلى واسفل حتى تخلص الشريان مما حولهُ وبعد انفاذ الخيط فيها انزعها من مكانها وارفع الشريان . والقسم الاخير من كلام ابي القاسم ينطبق على مبادىء عملية عصرية فهو يوافق ما في الكتب الحديثة من ان مضاعفات ربط الشريان اسراع التعفن وحدوث النزف بعدهُ وهو المعروف بالنزيف الثانوي

قال لكلارك ان ابا القاسم هو اول من استعمل ربط الشريان لايقاف النزيف ونحن نقول انهُ اول من ادخل الابريسم او الحرير في ربطهِ واول من ادخل أوتار العود فيهما ايضاً وهي مصنوعة من جدار امعاء الغنم وهو ما يتخذ منهُ الخيوط الجراحية في الوقت الحاضر وكلا هذين النوعين من الخيوط يستعمل الى الآن وفوائدها ليس هنا موضع شرحها ولكن أبا القاسم يلمح اليها انها مما لا يسرع اليهِ العفن

عملية استخراج الحصى — هذه العملية هي التي ابتدعها أبو القاسم ننقلها من الكتاب الموجود بايدينا ص ٣٨٢ وطريقتهُ فيها ان يجلس المريض ويضغط الحصوة مساعد الجراح

على شاشة ابريشي وهو بين يدي الجراح نفسه فيحس الحصوة عند عنق المثانة و يضع الجراح اصبعهُ في شعبة ابريشي و يضغط الحصوة اليهِ ثم يشق فيما بين المقعدة والخصيتين لا في الوسط ولكن الى جانب الالية الايسر و يكون الشق على نفس الحصاة و يضغط على الحصوة بالاصبع التي في المخرج ، يكبر الشق موربا او عريضاً من الخارج وضيقاً من جهة المثانة وتخرج الحصوة بالضغط ثم تُسمى الحصى على حسب شكلها لا تركيبها فوصف ذوات الزوايا وذوات الحروف والنساء ثم قال فاذا لم تطاوعك الحصى فاقبض عليها بجفت محكم يكون طرفهُ كالمبرد يضيق على الحصى واذا كانت الحصاة كبيرة جداً فتحايل على كسرها بالكلاليب حتى تخرجها قصداً

وتعرف عملية ابي القاسم اليوم باسم خرق كوكس (Cox Puncture) وتستعمل في مواضع اخرى غير الحصوة بقليل من التصرف

نقول ان عملية الجراح العربي لا زالت تُعمل الى اليوم بقليل من التصرف كأن يكون الشق التي تحس يوضع في المثانة سواء كان الشق في الوسط أو الى أحد الجانبين وقد زاحمت هذه عملية أخرى في إخراج الحصوة من جهة البطن في النصف الاخير من القرن الماضي ولكن عملية أبي القاسم ما زالت محافظة لكيانها ولها فخر ابتدائها خصوصاً في تفتيت الحصوة قبل اخراجها . ولها فخر احداث كلاليب تفتيت الحصوة التي ترقت الى حد عظيم

كذلك عملية الشق في المخرج ما يسقط في الاذن مما لا يزال استعمالهُ الى اليوم ويلتمس طريقة تعين لاذنه بالحقن . وهذا بحقن كان يصنع من النحاس أو الفضة

كذلك استعمال الماء المالح في غسل الجروح التي يخشى من تقيحها وهو ما يفضل استعمالهُ الى اليوم لانهُ يدرّ فيضان الماء في الجرح فيغسلهُ و يمنع تعفنهُ

جراحة العيون (علاج الشعرة) : (١) الكي بالنار . (٢) الكي بالدواء المحرق . (٣) القطع والخياطة . (٤) بقصب الغاب وتلك مستعملة الى اليوم

أما القطع والخياطة فذلك ان تقطع من فوق ظاهر الجسم شكل ورقة الآس ومن باطنه شقاً واحداً ثم تخيط التي في الظاهر والفرق بين العمليتين القديمة والحديثة ينحصر في عمق الشق وفي ان يقطع شبه ورقة الآس في الغضروف الموجود بالجفن دون الجلد

الطريقة وعلاجها — أن تدخل ابرة تحتها وترفعها ثم تدخل تحتها شعرة خيل ثم اصلح بالشعر جانب الشعرة الذي في الخدقة كأنك تنشرها بالشعرة الى آخرها ثم اقطع الباقي أي الذي ليس على الخدقة بمقص و يمكن صلحها بالمقص الاملس وهذا الاخير هو المستعمل

الى اليوم . وهذه العملية لا يزال استعمالها الى اليوم وغاية ما في الامر أن لا تقطع الظفرة كلها بل اقطع الجزء الموجود على القرنية والوه تحت المتحمة . والنقطة التي تستحق العناية هي طريقة القطع اولاً والمبضع ثانياً وهو لا يزال مستعملاً الى الساعة

علاج السيل في العين — هي عروق دموية تمر فوق القرنية تلقط بالعصارة ثم تقطع كل واحد بالمقص وتعمل هذه العملية الآن بالمشرط

الجرد — طريقتهُ واستعمالهُ وآلتهُ كالحديث تماماً

الكية : (المدة الموجودة خلف القرنية) — تشق القرنية ببضع رقيق في الاكليل وهذه العملية بنصها ونصها في الكتب الحديثة

في علاج الماء النازل في العين — خذ مقدحاً وادخلهُ في الاكليل حتى الماء ثم اكبسهُ الى أسفل فان المريض يرى من ساعتهِ وهذه لا تستعمل الاَّ في النادر لان لها مضاعفات جمة ولكن المقدح لا يزال من الآلات الحديثة

اللحم الزايد في الثلة ويسمونهُ ايضاً ايبوليس — يقطع ويحت مكانهُ او يكوى

جراحة الاسنان — اطلع بالكلاليب ونشر الاسنان الزائدة وتشبيك الاسنان المتحركة بخيوط من ذهب

في قطع اللوزتين — يكبس اللسان بآلتهِ ثم تغرز صنارة في اللوزة وتشد الى خارج الفم ثم تقطع بآلة كالمقراض . وهذه عملية حديثة ايضاً ولكن جرى كثير من التعديل في شكل الآلات

ومما يستحق الذكر ان المؤلف كان يروي تجاربهُ الشخصية وما كان يصيبهُ من الصعوبات وكيف ذللها . وهذه طريقة حسنة لا تزال مستعملة حتى اليوم . وكما يستأصل أورام اللوزتين كذلك تستأصل أورام اللهاة على الطريقة عينها

الاورام — غيّر المكروسكوب اليوم وجه الطب من القديم الى الحديث فتقسيم الاورام اليوم مكرسكوبي محض أما في زمن المؤلف فكانت تختلف باختلاف محتوياتها من سائل او يابس واجهة من الجسم التي فيها المرض فان الورم الذي يحدث في الرأس قسم بذاتهِ غير الذي يحدث في المعدة والورم الذي يحدث في جسم حي غير الذي يحدث في مفصل . ومن الاورام ما يبط او يشق ومنها ما يقطع عليهِ قطع كورقة الآس أو شكل هلالي او ذي ثلاثة شقوق او ما هو مستدير وينبغي اذا كان الورم عظيماً أن يفرغ ما فيهِ من

الماء او الصديد على عدة مرات لاسيما ان كان المريض ضعيفاً او مسناً ويمحش مكانهُ بالقطن المبلي فان عرض تزيب يغسل بالماء البارد والخل وبعض الاحيان بالخمر وينهى عن استعمالها لانها محرمة

قطع القصبة الهوائية — تشق تحت ثلاث او اربع دوائر من القصبة بالعرض بين غضروفين في الصفاق ويخيط الضروف في الجلد

علاج ثقب الشريان الابهر او الانيوريزم — كانوا يستأصلونهُ بين رباطين وكذلك كانوا يستأصلون سرطان الثدي بشق هلالي ويعالجون فتاق السرة بادخال الامعاء الى البطن بعد فتح الثرب ثم عقدهُ بالشوطة وربط اي شريان يميق العمل ثم يشد الورم في اربعة مواضع ويترك حتى يتعفن ويسقط من نفسهِ وكانوا يستعملون طريقة البزل في الاستسقاء بادخال أنبوبة حرفها مبري كبرية القلم بعد شق جدار البطن وهذه لا تزال مستعملة الى الآن

كيفية شق الادرة المائية او القيلة — طريقة الشق واخراج الخصية كاحسن الطرق المعروفة الآن وانما كان أبو القاسم يفضل قطع الصفاق بأكلهِ وهذا لكيلا لا يعود الماء وذلك ما يوصي بهِ اكثر الجراحين أما عملية الفتاق الجراحية فهي ان تشق عليها وتدخل الامعاء الى البطن ثم تستأصل كل ما هو اماملك من خصية واوردة وما اشبه ذلك بعد ربطها من جهة البطن ثم يشد الجرح بالرفايد بعد الربط الوثيق ولكن هذه العملية قلما كانت تعمل والمفضل هو طريقة الكي التي شرحناها آنفاً

وصفوة القول ان العرب لهم الفضل الاكبر في الجراحة على العالم الحديث لانهم حفظوها الى اليوم ولولا ما حرق او التي في الانهار من الكتب الاسبانية العربية لوجدنا امثال هذا الكنز الذي نحتفل بهِ الآن وكان الفضل في ايجادهِ بايدينا هو لجدي المرحوم الشيخ محمد الهراوي الذي كان محرراً لاوى كتب عربية طبية لمدرسة قصر العيني الطبية في عهد المغفور لهُ محمد علي باشا وحفظهُ من بعدهِ شقيقهُ المرحوم الدكتور عبد الرحمن بك الهراوي وكيل قصر العيني سابقاً حتى وصلت الينا اثراً صالحاً لاظهار فضل السلف الصالح

الدكتور

حسين الهراوي